

«قصائد تشبهني»

محمود سليمان الظاظا

شعر

مقدمة

هذه القصائد ليست مجرد كلماتٍ
،صففتُها على صفحات كتاب
وليست حروفاً عابرةً
...مرّت من أمامي ثم مضت

،إنها أجزاءٌ مني
،بعضُ ذاكرتي
،وبعضُ أحلامي
وبعضُ ما خبّأه القلبُ
طويلاً خلف أبوابه

،كتبْتُ بعضها وأنا على مقاعد الدراسة
حين كان الصمتُ في غرفة الصف
،يفتحُ أمامي أبواباً واسعةً للخيال
فأمسكُ قلّمي الأزرق
وأتركُ أفكارِي
تسيرُ وحدها فوق الورق

،ومنذ ذلك الوقت

والقصيدة ترافقني؛
مرةً تأخذني إلى الحب
ومرةً إلى الوطن
ومرةً إلى ذكريات الطفولة
ومرةً إلى عوالم لا أعرف لها حدودًا
إلا حدود الخيال.

وفي هذه الصفحات
ستجدون شيئًا من بيروت
وشئًا من لبنان
وشئًا من المرأة التي أحببتها
وشئًا من أحلامي البعيدة
وشئًا من حزني
وشئًا من إيماني وتأملاتي الروحية.

وقد أعودُ أحيانًا
إلى النبيِّ المصطفى محمدٍ ﷺ
إلى سيرته ونوره ومحبه
لأن في القلبِ مساحاتٍ
لا يملؤها إلا الإيمان
ولا يضيئها إلا الرجاء.

ولستُ أدّعي أنني كتبتُ القصيدةَ الكاملةَ
ولا أنني بلغتُ غايةَ الشعر؛
...فأنا ما زلتُ أبحثُ عنها

أبحثُ عن القصيدة

التي إذا انتهيتُ منها
شعرتُ أنها قالت عني
ما عجزتُ أنا عن قوله.

لهذا اخترتُ لهذا الكتاب
:عنوان

«قصائد تشبهنني»

لأنني وجدتُ نفسي
في كثيرٍ من هذه القصائد؛
في فرحها،
وفي حزنها،
وفي جنونها،
وفي هدوئها،
وفي أحلامها التي لم تكتمل.

فإن وجدَ القارئُ نفسه
في واحدةٍ منها،
أو وجدَ فيها ذكرى،
أو حلمًا قديمًا،
أو حزنًا نسيَ اسمه،
فذلك يعني أن القصيدة
...لم تعد لي وحدي

ثُمَّ قَصِيدَةٌ مَفْقُودَةٌ،
تَاهَتْ عَنْ فِكْرِي،
وَوَاقَتْ عَنْ ذَهْنِي،
وَتَوَارَتْ فِي مَخِيلَتِي،
وَضَاعَتْ مِنْ بَالِي،
وَمِنْ دَفْتَرِ أَشْعَارِي.
يَبْدُو أَنَّ شَبَحَ الشَّعْرِ
قَدْ تَأَخَّرَ اللَّيْلَةَ قَلِيلًا
...فِي إِصَالِهَا إِلَيَّ
تَرَى، أَيْنَ عُلِقَ؟
أَتَرَاهُ يَلْحَقُ إِحْدَاهُنَّ
فِي الْفُلُوتِ،
بَيْنَ نِسَاءِ بَنِي جَنْسِهِ،
الْفَاتِنَاتِ،
الْحَسَنَاتِ؟
أَمْ لَعَلَّه
يَتَعَمَّدُ الْغِيَابَ،
لِيَتْرَكَنِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ
أُبْحَثُ عَنْ قَصِيدَتِي
فِي ظِلَالِ الصَّمْتِ؟

2

- الموسيقى

الموسيقى

يقولون إن اللبنانيين
،بارعون في الموسيقى
لكنني، حين دُعيتُ ذات مرة
،إلى بعض الأمسيات الموسيقية الحافلة
خرجتُ منها
...وكأنني عدتُ من البحر
،داهمني دوارُ الموج
،واختلطت الأصوات في رأسي
:حتى كدت أسأل
،بالله عليكم
بماذا تُبدعون أنتم؟
،ثم أتوقف قليلاً
وأتذكر ما يُقال
عن تهريب الكتاغون
،إلى بعض الدول العربية الشقيقة
،ومنها المملكة العربية السعودية
:فأقول في نفسي
أهذه هي الموسيقى
التي نعزفها اليوم؟
،موسيقى أخرى
،لا تُسمع بالأذن
بل تُسمع أخبارها
في أرجاء العالم؟

أصواتٌ نحيبٍ وعويل
تُسمع من تحت الركام
من بين حجارة البيوت
ومن بين أنفاس
من بقي حيًّا تحت الأنقاض
في مدنٍ وقرى
امتدَّ إليها الخراب جنوبًا
كان نحيبهم
يشقُّ صمت الليل
ويشلع قلوب
أشجار التين والزيتون
واللوز والرمان
والليمون والحامض
حتى مياه الينابيع
بدت كأنها تجمّد عروقها
في جوف الأرض
حزنًا على الذين رحلوا
أرواحٌ طاهرة
نقيّة
زكيّة
تظلّ معلّقة في الذاكرة
تسأل عن العدالة
وتطارد صور الحرب
في وجدان من بقي
ويبقى الركام شاهدًا
وتبقى الأشجار شاهدة
وتبقى الأرض شاهدة

على ما مرّ بها

من نارٍ ودمارٍ.

4

- سافري بقلبي وعيوني

، سافري بقلبي وعيوني

، بوجداني وأنفاسي

...يا عزيزتي

سافري بي

، على متن سحابةٍ بيضاء

، ناصعةٍ كالثلج

، أو على أجنحة طائرٍ أخضر

، يحملني إلى البعيد

، أو على صهوة جوادٍ أبيض

، عربيٍّ أصيل

يشقّ الفيافي

.ولا يلتفت

، سافري بي

:أنّي شئت

، إلى جزر الكناري

، إلى البحر الأحمر

...أو البحر الأسود

، ولا تكلف

، ولا عناء

.ولا مالٍ يُنفق

فأجمل الرحلات

تلك التي تبدأ

،من القلب

وتنتهي

في القلب.

5

- بيني وبينك

بينى وبينك

،بستانٌ غنّاء

،وورْدٌ لا يذبل

،أقمارٌ منيرة

،ونجومٌ متلألئة

،وأحلامٌ واعدة

ومستقبلٌ

.مُزهَرٌ جميل

بينى وبينك

،فرحٌ وسرور

،حبٌّ ومحبة

،أنسٌ وعِشرةٌ طيبة

ومشاعرٌ صادقة

.لا تعرف الزيف

بينى وبينك

،ثقةٌ متبادلة

،لا تتزعزع

،ولا تهتزّ

،ولا تتبدّل

...ولا تتغيّر

.ما حيننا

وكان بين قلبي وقلبك

عهدًا صامتًا

.لا يحتاج إلى الكلمات

6

- مؤسف جدًا

مؤسف جدًا

،من الأمور التي أزعجتني مؤخرًا

،ولم أكن أتوقعها إطلاقًا

ما نُسب إلى تكريم

الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون

للنجمة السابقة في مجال الأفلام الإباحية

Clara Morgane،

وقيل إن التكريم جاء

تقديرًا لما أنجزته

.وقدّمته لبلدها فرنسا

فوقفتُ أمام الخبر

،طويلاً،

:وسألت نفسي

ما تلك الإنجازات العظيمة

،يا ترى

التي تستحقّ

كل هذا التكريم

والتبجيل؟

،إنني، من منظوري الشخصي

لا أستطيع أن أرى في مسيرتها

، ما يستحق هذا الاحتفاء

وأجد نفسي أمام سؤال

:أكبر من التكريم نفسه

أيُّ قيمٍ نريد أن نحتفي بها؟

وأيُّ صورةٍ نريد أن نتركها

للأجيال القادمة؟

،شيءٌ مؤسّف حقًا

،ومربكٌ للنفس

حين تختلط المعايير

وتضيع الحدود

بين ما نحتفي به

.وما نتحقّق عليه

فإذا أصبحت الجوائز

وميداليات التكريم

،تُثير كل هذا الجدل

...فعلى الدنيا السلام

،خرابٌ بلا غراب

.وموتٌ بلا بوم

،ارحل بحزنك بعيدًا

...وتمالك نفسك

فلمن تكتب الشعر اليوم؟

ومن يكثر؟

ومن يهتم؟

.ربما لا أحد

ويبدو أن الزمان

،لم يعد زمانك

وأن القصيدة
باتت تبحث عن قارئها
كما تبحث أنت
عنها.

7

- دُمك حامٍ

دُمك حامٍ
، فإذا كان دُمك حامياً
ووجدانك حاضراً
، بقوة الصوان
وكان سلاحك
، جاهزاً للدفاع عن الحق
فها هي ساحاتُ
، العزّة والكرامة
، والشهامة والشرف
تفتح أبوابها
على مصراعيها
، ومسجدُ الأقصى الشريف
الذي بارك الله سبحانه وتعالى
ما حوله
، ينادي في وجدانك
ويذكرك بأن للأرض
ذاكرة لا تموت
فلا تجعل غضبك
، رصاصةً في صدر أخيك

ولا تجعل بندقيتك
وسيلةً لاقتتال أبناء جلدتك
ولا تُفرغ نارك
في محلتك وحارتك
وجّه غضبك
نحو الظلم
واطلب الحق
واحمل قضية أرضك
بما يليق بالإنسان
والشريف
فليس البطولة
أن تقتل من يشبهك
بل أن تمنع الظلم
دون أن تتحوّل
إلى ظالم.

8

- بورتريه لوجهك الناعم الجميل

إلى ديزيره سقال
، سأكتبك قصيدة غزل
، مفعمةً بالمشاعر الدافئة
وأعزفك لحناً فريداً
قلّ مثيله
واللونك لوحةً زيتيةً
، زاهية الألوان
بورتريهاً لوجهك

الناعم الجميل،
ولا بتسامتكِ
الهادئة.
سأنتقيكِ عطرًا فاخرًا
كالمسك الأذفر
وأزرعكِ ياسمينًا
على شرفة غرفتي
فتملئيني طيبًا
وفرحًا
وسكينًا
وطمأنينة
وشدًى
وأنسًا.
وألبسكِ خاتمًا
من فضة
يتوسطه عقيقٌ أبيض
ناصعٌ شفاف
كأنه قطعة
من البلور.
وكلما حرَّكتُ الخاتم
خيَّل إليَّ أنني
أسمع صوتكِ الجميل
من بعيد
... يهمس باسمي
وأرى وجهكِ
الناعم الجميل
مبتسمًا لي.

شبكة تواصلٍ جديدة

،بيننا

لم يتوصّل إليها

،العلم والعلماء بعد

ولم يبلغها

.حتى الخيال العلمي

شبكةٌ لم يكتشفها

،علماء الطاقة

،ولا الذرة

،ولا الكيمياء

،ولا الكهرباء

،ولا الفيزياء

.ولا الاتصالات

شبكةٌ اجتماعيةٌ

،ساحرة

تصل بين قلوبنا

،صوتًا وصورة

عبر خاتمي الفضي

وحجره العقيقي

الأبيض الشفاف

.كالبلور

9

- حرية الاختيار

حرية الاختيار

سأترك للكلمة

:الفصل الأخير

، حرية الاختيار

.أولاً وأخيراً

كأن تعبر بي

، مثلاً

، من مدن المنفى

، ومن وطن الريح

، ومن قمر الرحيل

، إلى شاطئ الأمن

.إلى ضفاف الأمان

أترك للكلمة

، أن تختار الطريق

وللقلب

، أن يختار وجهته

وللروح

.أن تمضي حيث تريد

فربما كان أجمل الأوطان

، ليس مكاناً على الخريطة

بل مكاناً

.نشعر فيه بالأمان

10

_ الله

الله

، رأيتُ اسم الجلالة

اللّٰه،
منقوشًا على سحابةٍ خريفيةٍ
ناصعةٍ البياض،
عظيمةٍ كالتلال
كانت السحابة
تحمل الاسم معها
أنيّ توجّهت
كأنها حرٌّ
من نور
لا يفارقها
فتأملت المشهد طويلًا
وشعرتُ أن في السماء
رسالةً لا تُقرأ بالحروف
بل بالقلب
فيضٌ من النفع
وسيلٌ من البركات
ورحمةٌ تمتدّ
في الجهات كلها
حتى يعجز العقل
عن إحصائها
فقلت:
سبحان من له
الأسماء الحسنى
والملكوت كله
...والفضل كله
وما تحصي نعمه
إلا أنت

يا الله.

11

شجر الصنوبر

أمضى عمره

يغرس شجر الصنوبر

، في بستانه الرحب

...الغناء

فحاز زقزقة العصافير

، بأشكالها وألوانها

، وحفيف أوراق الأشجار

، ولسعات النحل

، وعقص الدبابير

، وصفرة المغيب

وصياح الديكة

عند بزوغ الفجر

، حاز كل هذا الجمال

...ونسي نفسه

معلقاً

، في سماء الأمنيات

يطارد أحلاماً

بعيدة المنال

12

سأكتبُ الأشعارَ التي كانت

...تشبهني

وأنا أجلسُ

،على مقاعدِ الدراسة

في المرحلتين المتوسطة

والثانوية.

أذكرُ حينها

،عند فرصةِ العاشرة والنصف

حين كان الطلاب

يغادرون غرفة الصف

،باتجاه الملعب

...ويسودُ الهدوءُ المكان

،كنتُ أفتحُ دفترَ الكتابة

،وأحملُ قلّمي الأزرق

،ذي الحبرِ الناشف

وأدوّنُ بعضَ أفكارِي

،بهدوءٍ تام

،وتأمّلٍ عميق

،وانسجامٍ كامل.

أفكارًا كانت

تنشدُ للعصافير

،مدنًا من رخامٍ أبيض

وتلَوُّنُ كَلِمَاتِ قِصَائِدِي
بِأَلْوَانِ قُوسِ الرَّحْمَنِ
وَتُقْلِقُلُ شِفَاهَ النَّايِ
كَلِمَا مَرَّتِ السَّهُولُ
بِعَرَبَاتِ الْفَجْرِ
وَقَصَّتِ الْمَدَنَ
حِكَايَاتِهَا الْجَمِيلَةَ.

13

أَنَا شَاعِرٌ
نَادِرًا مَا يُؤْمَنُ بِالْدَبْلُومَاسِيَةِ
سَيِّمَا مَعَ قِطَاعِ الطَّرِيقِ
وِخَفَافِيشِ اللَّيْلِ
وَسُرَّاقِ الْمَسَافَاتِ
وَالذَّنَابِ الْمَاكِرَةِ
وَالْحَيَوَانَاتِ الْمَفْتَرَسَةِ
الضَّارِيَةِ
الَّتِي تَحَاوُلُ
اِسْتِبَاحَةَ مَزْرَعَتِي الْمَسِيَّجَةِ
وَالْحَاقِّ الْأَذَى
بِمَزْرُوعَاتِي
وَالْتِهَامِ خِرَافِي الْوَدِيعَةِ.

أَنَا شَاعِرٌ
نَادِرًا مَا يُؤْمَنُ بِالْدَبْلُومَاسِيَةِ
مَعَ هَذَا الصَّنْفِ

من الوحوش الكاسرة.

فحين تضيقُ مساحةُ الكلامِ

وتسقطُ لغةُ الحوارِ

لا يبقى أمامي

إلا أن أقفَ

حارسًا على حدودي

وأردَّ المعتدي

عن مرعاه

وأضعَ له حدًّا

لا يتجاوزه.

فأنا لا أطلبُ حربًا

ولا أعشقُ الصدامَ

لكنني أعرفُ جيدًا

أن للوداعةِ حدودًا

وأن للصبرِ نهاية

وأن من يقتربُ

من سياجِ مزرعتي

عليه أن يعرفَ

أن خلفه شاعرًا

يحرصُ ما يحب.

سبحانَ من صوّرَ

،النبيِّ محمدًا ﷺ

وأودعَ في وجهه

من الحسنِ والجمالِ

ما تعجزُ الكلماتُ

عن وصفه .

فإن كانَ النبيُّ يوسفُ

عليه السلام

،قد أُوتِيَ شطرَ الحُسنِ

فإنَّ محمدًا ﷺ

قد اجتمعَ في وجهه

من الجمالِ

ما تفيضُ به

.قلوبُ المحبين .

صلى عليك اللهُ

،يا خيرَ الورى

يا من أشرقَتْ

بطلعتهِ

.قلوبُ العاشقين .

15

العسل المصفى

،حتى العسلُ المصفى

،بأنواعه المتعددة

،وأصنافه المتنوعة

،عسلُ السدر

،والأرز

،والسنديان

...والصنوبر

ذاب حلاوةً

أمامَ حسنِ

النبيِّ المصطفى

محمدٍ ﷺ.

فما قيمةُ العسلِ

حين يكونُ الجمالُ

قد تجسّدَ

في طلعتِه المباركة؟

16

- يوم الزحام

صدّقتُ النبيَّ محمدًا ﷺ

،في كلّ ما جاء به

مبلّغًا عن ربِّه

،سبحانه وتعالى

وآمنتُ بما أخبرَ

عن عالم الغيب

،وكيف لا أصدّقه

،وهو الصادقُ الأمين

الذي أرسله الله

،رحمةً للعالمين

والذي نرجو شفاعتَه

يومَ الزحامِ،
حين تضيقُ الأرضُ
بأهلها،
ويبحثُ الناسُ
عن بابٍ إلى النجاةِ.
اللهم ارزقنا
محبتَهُ،
واتباعَ هديه،
ورجاءَ شفاعتِهِ

17

- الحمد لله رب العالمين

الحمدُ لله ربِّ العالمين
على البلاءِ
كما الحمدُ له
على النعماءِ.
موقنٌ أنني
لستُ في جنّاتِ النعيمِ،
وأنتني في دارِ امتحانٍ،
تتعاقبُ فيها
الأيامُ بين عسرٍ ويسرٍ.
وأستحضرُ قولَ النبيِّ ﷺ
إنَّ أشدَّ الناسِ بلاءً
الأنبياءُ،
ثم الأمثلُ فالأمثلُ.

فأقارنُ ما نزلَ بي

من البلاءِ

بما حمَلهُ أنبياءُ الله

عليهم السلام

من أثقالٍ وصبرٍ

وتكليفٍ.

،فأشعرُ، رَغَمَ ألمي

أن ما عندي

،شيءٌ يسير

وأُنني في نعمٍ كثيرة

لا أراها

إلا حين أتأملُ

ما حولي.

الحمدُ لله

،في السراءِ والضراءِ

والحمدُ لله

،حتى يرضى

والحمدُ لله

بعد الرضا

18

- وسامة النبي محمد ﷺ

أيُّ وسامةٍ

يمكنُ أن تفوقَ

وسامةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ؟

خلَقَهُ اللهُ سبحانه وتعالى

،في أحسنِ هيئة
،وأكرم صورة
فاجتمعَ في طلعه
بهاءُ الخلق
وجمالُ الخلق.
فكانَ وجهُهُ
،مشرقاً كالفجر
وكانتْ طلعتُهُ
آيةً من آياتِ الجمال
صلّى عليك الله
،يا نبيّ الرحمة
.ما تعاقبَ الليلُ والنهار

19

- ناسك متعبّد

قلّ للمليحة
:في الخمارِ الأسود
ماذا فعلَ بها
ناسكٌ متعبّد؟
مرّتْ أمامَ عينيه
،على بابِ المسجد
فلم يعرفها
،اهتماماً
ولم يرمقها
.بنظرةٍ واحدة

كأنها شمعة

،خلف زجاج معتم

أو تمثال

،في متحف قديم

أو لوحة جدارية

معلقة

.في قلعة مهجورة

دخل الناسك

،المتعبد المسجد

،وأذن للصلاة

،وأتم المصلين جماعة

...ثم انصرف

وبقي السؤال

:معلقاً في الطريق

أكان الناسك

أشدَّ زهدًا

من أن تسرق عينيه

نظرة عابرة؟

20

- أحلامك المخملية

،بربك، عزيزي

أخبرني

،عن أحلامك المخملية

،عن أمنيائك الكبيرة

التي تنوي تحقيقها
عبر محطات حياتك
القصيرة.
وأنت، منذ ولادتك
يُنَادِي بِكَ
:من فوق رأسك
،يا ابن آدم
،للدود خلقت
،وللتراب مصيرك
فخذ من حياتك
عبرةً،
ومن أيامك
عظة.
فلا تجعل أحلامك
أكبر من غايتك
ولا تجعل الدنيا
ملذك الأول
وملجأك الأخير.
اجعل الله سبحانه وتعالى
ملذك قلبك
واجعل دين الإسلام
نور طريقك
وأنبياءه الكرام
قدوة لك
واجعل شريعته
سبيلك
في هذه الرحلة

القصيرة.

21

بالونات حارقة

أرادَ أن يعيشَ الحياةَ

...كما هي

،بهدوئها

،بتقلباتها

بفرحها

وحزنها.

،إلا أن بالوناتٍ حارقة

،ملتهبة

كانت تلاحقُه

،باستمرار

كظلٍّ مكسور

.لا يفارقُ صاحبه

كانت شراراتُها

تصيبُه

،حيثما حلَّ

،وحيثما اتجه

.وحيثما وجد

فما إن يخمدَ

،لهيبٌ واحدةٍ منها

،حتى تأتي أخرى

،أشدُّ اشتعالًا

لتفتَحَ في قلبه

.جرّاً جديداً

...وكان يمضي

،يطاردُ حياةً هادئةً

بينما النيرانُ

.تطارده

- إلى الحكام العرب 22

...إلى الحكام العرب

!اعذروني، ولكن

حتى الوحوشُ

،جاعتُ في أوطانكم العربية

وليس البشرُ وحدهم

من ذاقوا مرارةَ الجوع؛

فالوحوشُ كذلك

أصابها ما أصابكم

.من قسوةِ الأيام

،لذلك،

سأستبدلُ ألقابكم

،المهترئة

وأعيدُ تسميةَ الأشياء

بما أراها عليه

:في مرآةِ القصيدة

،لا حكامَ دول

،بل حكامُ الصدفة

،والغفلة

،والدهشة

والهاريون

من ذاكرة التاريخ

تلك الذاكرة

،التي تنكسرُ على نفسها

وتحملُ في قوارير الزمن

،رائحة الخزي

،والعار

،والأسى

والخذلان

،أما أنا

فكما يحقُّ لكم

،أن تختاروا ألقابكم

:سأختارُ لقبِي أيضًا

لن أقولَ

،شاعرَ الحبِّ والحياة

بل سأتركُ لنفسي

:اسمًا آخر

،شاعرُ الوهم

،والحلم

والخيال

- شمس مشرقة 23

:إذا رأيتهُ قلتَ

،هذه شمسٌ مشرقة

...أو قمرٌ منير

، محمدٌ رسولُ الله ﷺ

، صفوةُ خلقِ الله

ونورٌ من نورِ الهداية

يضيءُ دروبَ المحبين

فإذا أطلَّت طلعتُهُ

خَطَفَ الأبصارَ

، من حوله

وخجلَ السنونو

، من سرعةِ جناحيه

وخفتَ ضوءُ النهار

أمامَ إشراقِ محيَّاه

وتوارى الماسُ

، واللالئُ والجواهر

وتعرَّتِ التيجانُ

، من بريقها

، حينَ أشرقَ جمالهُ العربيُّ الأخاذُ

وظلَّت محيَّاهُ

بذلك البهاءِ

الذي يسكنُ القلوبَ.

- من الأمور التي أدهشتني 24

من الأمور التي أدهشتني

أن الإنسانَ قد يرى

من سعةِ الدنيا

، ما يعجزُ العقلُ عن تصوُّره

، من مالٍ

، وصحةٍ

، وقوةٍ

، وقصورٍ

، وبساتينَ غناء

، وأنهارٍ عذبةٍ

، ومتاعٍ كثيرٍ.

قد تبدو له الدنيا

، كأنها مُلكٌ لا ينتهي

وكان أبوابها

قد فُتحت له جميعًا.

لكنّ الدنيا

، ليست دارَ الخلود

وما فيها

يمضي كما يمضي الليلُ والنهار

وقد يملكُ الإنسانُ

، الكثيرَ في الدنيا

ثم يلقى ربَّهُ

، مجردًا من كلِّ ما جمع

لا يحملُ معه

، قصرًا ولا بستانًا

، ولا مالًا ولا سلطانًا.

وحينها
تتغيّر موازينُ الأشياءِ،
فلا ينفعُ المرءَ
إلا ما قدّم

،لذلك، يا عزيزي
لا تجعلُ الدنيا
غايةَ قلبكُ،
ولا تجعلُ المالَ
ميزانَ الكرامة.

،فالتوحيد،
والإيمان،
وأداءُ ما أوجبَ الله
،وتركُ ما حرّم
،والبعدُ عن الكفرِ والمعاصي
هي زادُ الإنسان
في رحلتهِ إلى الآخرة.

:وقد قال تعالى:

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾

فما أعظمَ الفرق
،بين سلطانٍ يزول
،وإيمانٍ يبقى
وبين متاعٍ يفنى

وعملٍ صالح

.يلقى به الإنسانُ ربّه

اللهم اجعلْ الدنيا

في أيدينا

ولا تجعلها

.في قلوبنا

- الشفق الأحمر 25

نجمَةٌ لمعتْ

...في سماءِ أمنيّاتِكَ المديدة

أترى أحلامَكَ

التي لم يتحقّقْ

منها شيءٌ حتّى الآن؟

أم أنك ما زلتَ

،تنتظرُ المعجزةَ

وتراقبُ من بعيد

ذلك الخيط الرفيع

المتبقي

من الشفقِ الأحمر؟

خيّطًا يتشبّهُ بالسماء

قبل أن يبتلعَ الليلُ

.آخرَ خيوطِ النهار

- لبنان 26

...لبنان

آسرُ،
ملفتُ،
مشرّف،
لامعُ،
بارزُ،
شامخُ،
خلابُ،
أخاڈُ،
ذهبيُّ،
متألّق،
ساحرُ،
ساطعُ،
مشرقُ،
مضيءُ،
ملهّم،
...وأنيق

.وجميلٌ جدّا

،فيه بيروت

،العريقة

.لؤلؤةُ البحرِ الأبيض المتوسط

،وصيدا
منازةً الساحل.

،وصور
مدينة الحرف والتاريخ.

،والشوف
الأمير المترج
على عرش الجبل.

،وجبيل
المدينة الأثرية
الضاربة في عمق التاريخ.

،والبترون
بشواطئها الذهبية.

،وفاريا
حيث الثلج
ومواسم التزلج.

،وطرابلس الفيحاء
بأسواقها القديمة
وسحرها البحري.

،والأرز

.شامخًا في أعالي الجبال

،والبقاع

.بسهوله الواسعة

،وزحلة

.عروش المدائن

،وبعلبك

،مدينة الشمس

.وحارسه أعمدة التاريخ

كلُّ هذه المدن

،وغيرها كثير

.تسكن في قلب هذا الوطن

لذلك،

،ولأكثر من ذلك

...يعني لي لبنان الكثير

يعني لي

ذاكرة،

وحلمًا،

وجبلًا،

وبحرًا،

وقصيدة

.لا تنتهي

- أمسية شعرية 27

أنتِ أمسيةٌ شعريةٌ،
وقصيدةٌ عاطفيةٌ،
ربما ماتَ شاعرُها
قبلَ أن يكتملَ المساءُ.

أنتِ امرأةٌ ساكنةٌ،
متلوّنةٌ،
مأهولةٌ بالريحِ،
محفوظةٌ بالتطرّفِ،
غريبةٌ
إلى حدِّ التعقيدِ.

أنتِ قاموسٌ
عربيٌّ أجنبيّ
كالقواميسِ
التي تعلو سريري
أفتحُ صفحاتكِ
فلا أعرفُ
في أيّ لغةٍ
أقرأكِ.

أنتِ جهاتٌ مبعثرةٌ،
وبحارٌ لا مباليةٌ،
وموجٌ ي صارعٌ موجًا،

وسفينة

ركبتِ الخطر

دون أن تسألَ

إلى أينَ تمضي

- بحثُ عنكِ 28

بحثُ عنكِ

...حيثما استطعت

،سحْتُ في الدنيا

،من شرقها إلى غربها

ومن غربها إلى شرقها

دخلتُ المدنَ

،واحدًا تلو الآخر

،وسألتُ الريحَ

،والبحرَ

...والطرقَ الطويلةَ

لكنني

لم أجِدكِ

فإلى أينَ رحلتِ؟

وإلى أينَ ذهبتِ؟

تركتِ وراءكِ

حبًا لا يخبو
وأحلامًا منثورةً
في الهواء
كزبدٍ يتطايرُ
مع الريح
ثم يصفغُ الوجوه
ويمضي.

- أحبك 29

أحبك
لأنك القمرُ
المعلّقُ فوق البطاح.

أحبك
لأنك اللقاءُ
والتذكّار.

أحبك
لأنك العطرُ
والنهرُ المنساب.

...أحبك

أحبك يا جميلة
يا متصلّبةً

كجبالٍ من جليد.

أحبكِ

حتى حينَ

تغلقين أبوابكِ

دونَ قلبي.

...أحبكِ

ولا أعرفُ

كيفَ أطفئُ

هذا الحب.

- بحرٌ من نار... جمرٌ وماء 30

،قالتُ عيناكِ كلامًا

،وقالتُ عيناكِ ملامًا

كانتُ نظراتُكِ

،تمضي كالسيوف

وكانتُ كلماتُكِ

،تنطقُ بالحروف

،فيها حزنٌ

،وآلمٌ

،وعذاب

،وفيها تحسّرٌ

،وندمٌ

وعتاب.

قالتُ عيناكِ
كلامًا عن الحب،
فانقطعَ قلبي
من شدةِ الألم.

عيناكِ
بحرٌ من نار،
عيناكِ
جمرٌ وماء.

أغرُقُ فيهما
ولا أعرفُ
أيَّ شاطئٍ
سينقذني.

- لا ترحلي 31

...أرجوكِ
لا ترحلي.

لا تتركيني وحيدًا
فرحيلُك
يجددُ أحزاني
ويضرُّمُ النارَ
في سهولي

وضفافي.

...أرجوكِ

، لا ترحلي

، كي لا يحزنَ القمر

ولا تنامَ النجوم

.قبلَ موعدِها.

...ابقي قليلاً

فهذا المساءُ

لا يعرفُ كيفَ يبتسم

.من دونكِ.

- ليل ليلي 32

...ليلُ ليلي

، ليلُ نجومٍ وقمر

، ليلُ قصائدٍ وسمر

...ليلُ ألحانٍ وأنغام

.ليلُ ليلي.

...ليلُ ليلي

، ليلُ طعامٍ وشراب

، ليلُ أنيسٍ وهناء

...ليلُ فرحٍ وحب

.ليلٌ ليلي

...ليلٌ ليلي

،ليلٌ أحلامٍ تتحقق

،ليلٌ أنوارٍ تتلألأ

ليلٌ مراكب

...في وسطِ البحار

.ليلٌ ليلي

،وفي آخرِ الليل

يبقى اسمٌ ليلي

وحدهُ

معلّقًا

.في سماءِ القصيدة

- المرسال 33

من أعالي تلك الجبال

سأرسلُ لكِ

،ذلك المرسال

ليحملَ إليكِ

مشاعري

.وما أخفيه في قلبي

،واسمحي لي، سيدتي

أن أقولَ لكِ

:بكلِّ صدقٍ واحترامٍ

.إنكِ جميلةٌ جدًّا

وجهُكِ

،نورُ الصباحِ

وبسمتُكِ

.عالمٌ من حنانٍ

قلْبكِ

،أنقى من الثلجِ

ورائحتُكِ

.أزكى من الياسمينِ

وشعْرُكِ

قصيدةٌ طويلةٌ

.أدهشتُ كبارَ رسّامي العالمِ

وأنافتُكِ

شغلتُ أعينَ المارةِ

.في شوارعِ أوروبا

،أما نظراتُكِ

فنقلتني من بيروت

،إلى أمستردامِ

،إلى مدني الفنِّ والجمالِ

،إلى القصورِ والجواهرِ

إلى روائعِ النحتِ الإيطالي
وإلى عظمةِ برجِ بيزا.

ثم حملتني
إلى أعالي القمم
وأعماقِ المحيطات
حتى حسبتُ نفسي
أميرًا من أمراء
القرنِ الثامنَ عشر
أملكُ الجاهَ والكيانَ
والسلطة.

لكنّ الأحلامَ
... لا تعيشُ طويلًا

تلاشتُ
ذابَ الجليد
وتوارى الحلمُ
عن الذاكرة.

أما مراكبي الشراعية
التي حملتُ اسمكُ
فلم تعدْ حتى الآن.

فهل تحطمتُ
في عرضِ البحر؟

أم أعيها الانتظار

على شاطئ

لا يعرف الوصول؟

ـ لأجلك 34

لأجلك،

يا صاحبة الاسم المنير

، والوجه الناعم الجميل

... والشعر الأسود الطويل

لأجلك

، تسهرُ عيناك في ليلي

وترقص رموشك

. كرموش غزالة

نظرتُ في وجهك

فقرأتُ

، الجمال

، والإحسان

، والأنوثة

، والدلال

، لأجلك كتبتُ

، ولأجلك رسمتُ

ولأجلك

كم نظمتُ

من الألمان.

يا صاحبة الأطراف الحسان،

يا امرأة

كلما كتبتُ عنها

.خانتني الكلمات

- كفى 35

...بيروتُ تعبَت

كفى

من لملمة المطر الساخن

.فوق الخدين

،تعبتِ

وكفى دمُعك

.يا صامدة

...لا يكفي

،لا، لن يكفي

ولو ملأ حياض الغبراء

.كلّها

:أقولُ لكِ

،لا تبكي

،لأنكِ منّا

.ولأنك فينا

فلترافقني عيناكِ

،المدماة

،وأتذرعُ بالشعر

أصفُ حروفهُ

.على جبينِ الحائط

أغرُسُ علمًا

،فوقَ الشائكِ

...ثم أضحك

،يصفعني السجّان

.فأضحك

،تأسرني الأعداء

.فأضحك

،تسرُقُ منّا الأوطان

.فأضحك

...أضحك

...أضحك

...أضحك

،إليكِ يا بيروت

،فقد تعبتي

وأتعبني دمعك.

كفى.

- كل شيء بدأ 36

...كل شيء بدأ

وكل شيء

لم يبدأ

تموت وعول النفس

، في حضرة الصراخ

وتضيغ الخطوات

.بين البداية والنهاية

، وهكذا

أحلم أنني

قائد أوركسترا

في جزر

.تشتعل فيها النيران

أرفع يدي

، فتصمت الآلات

وأخضها

فتنفجر الموسيقى

.من بين الركाम

لكنني أبحثُ

:عن شيءٍ واحد

أَيْنَ الهواء؟

أَيْنَ الهواء؟

...رباه

أَيْنَ الهواء؟

- صحراء المتعبّد 37

،هذه ليلةٌ ساكنة

،فيها زوارقٌ راسية

وأوراقٌ يابسة

.تتدلى من الشرفات

،هذه ليلةٌ محاصرة

النار والبارودُ

.هما العلامة

وفي ليلةٍ

،أبحثُ كلَّ أسرارٍ ساحاتها

،لم أنتظرُ شيئاً منهم

،لم أنتظرُ أيَّ شيء

عدا ضجيجَ الأبواب

وهي تنفتحُ

وتنغلقُ

على هذا الفراغ المهجور.

هكذا مدينةٌ

تخنُقُ أنفاسَها

،تحتَ ضربةٍ معولٍ

وهكذا غرفةٌ

تتسعُ للوحشة

أكثرَ مما تتسعُ للإنسان.

،الغرفةُ صحراءُ المتعبِّدِ

والليلُ

محرابٌ بلا صلاةٍ.

- القطار المستحيل 38

أعرفُ أنني معكٍ

،راهنْتُ على حياتي

وركبتُ

القطارَ المستحيل.

أعرفُ أنني معكٍ

،سأبقى على الميناءِ

جسدًا هائمًا

،بلا روحٍ

وبلا هويةٍ.

،حقيبةُ سفر
،وأمتعةٌ مبعثرة
.ولا وجهةً محددة

ألوُكُ العطش
،في هوالِكِ
كلما طفقَ خيالُكِ
يظهرُ لي
.من بعيد

وألوّحُ للبحرِ
،بالهزائمِ
وللسفنِ
،بالخساراتِ
وللجهاتِ
.بالتكباتِ

:وأظُلُّ أسأل:

أينك؟

أينك؟

...قبلَ فواتِ الأوانِ

الخاتمة

...وهكذا تنتهي الرحلة

رحلةٌ بدأت بقلمٍ أزرق

،وحبرٍ ناشفٍ،

،على مقعدٍ من مقاعد الدراسة،

حين كان زملائي يركضون

،نحو الملعب

وكنْتُ أنا أركُضُ

،نحو القصيدة.

منذ ذلك اليوم

...وأنا أحاولُ أن أكتبني

،كتبْتُ عن الحب،

،عن المرأة،

،عن بيروت،

،عن لبنان،

،عن الجبل والبحر،

،عن الأحلام التي تأخرت

وعن الأمنيات التي

ما زالت معلقةً

في سماء الانتظار.

كتبْتُ عن الألم

،حين ضاقَ بي

وعن الفرح

،حين مرّ بي عابراً

وعن الإيمان

حين احتجّت إلى نورٍ

.يقودُ خطاي

،كتبتُ ما رآته عيناى

،وما سمعته أذناى

،وما همسَ به قلبي

وما عجزتُ عن قوله

.في الحياة

قد لا تكونُ هذه القصائد

،كلّ ما كنتُ أحلمُ بكتابته

لكنها بالتأكيد

،قطعُ من روعي

،وشظايا من ذاكرتي

وأحلامٌ تركتها

على الورق

.حتى لا تضيع

فالقصيدةُ عندي

،لم تكن كلماتٍ مرصوفة

،ولا حروفاً تبحثُ عن القافية

بل كانت نافذةً

،أطلُّ منها على نفسي

ومرأةً

أرى فيها وجهي
حين تعجزُ المرايا عن رؤيتي.

:وإذا سألتني أحدٌ يومًا

من أنت؟

:سأقول

أنا ذلك الطفل
الذي كان يفتحُ دفترَه
في العاشرة والنصف
، حين يخلو الصفُّ من الضجيج
ويبدأ العالمُ
...من حوله بالصمت

ثم يمسكُ قلمه
ويكتب.

هذه القصائد
...تشبهني

لأنني تركتُ فيها
شيئًا مني.

وإن بقيتُ بعدي
قصيدةً واحدة

يقرأها إنسانٌ ما
في مكانٍ ما،
ويشعرُ أنها قالت
شيئًا كان يعجزُ هو أيضًا
...عن قوله

فسأعرفُ عندها
أنني لم أكتبُ عبثًا

محمود سليمان الظاظا
«قصائد تشبهنِي»
محمود سليمان الظاظا

شعر

مقدمة

هذه القصائد ليست مجرد كلماتٍ
،صففتُها على صفحات كتاب
وليسَتْ حروفًا عابرةً
...مرّت من أمامي ثم مضت

،إنها أجزاءٌ مني
،بعضُ ذاكرتي
،وبعضُ أحلامي
وبعضُ ما خبّأه القلبُ
طويلاً خلفَ أبوابه

،كتبْتُ بعضها وأنا على مقاعد الدراسة
حين كان الصمتُ في غرفة الصف
،يفتحُ أمامي أبوابًا واسعةً للخيال
فأمسكُ قلمي الأزرق
وأتركُ أفكاري
تسيّرُ وحدها فوقَ الورق.

،ومنذ ذلك الوقت
والقصيدةُ ترافقني؛
مرةً تأخذني إلى الحب
،ومرةً إلى الوطن
،ومرةً إلى ذكريات الطفولة
ومرةً إلى عوالم لا أعرفُ لها حدودًا
إلا حدودَ الخيال.

وفي هذه الصفحات
،ستجدون شيئًا من بيروت
،وش شيئًا من لبنان
،وش شيئًا من المرأة التي أحببتها
،وش شيئًا من أحلامي البعيدة
،وش شيئًا من حزني
،وش شيئًا من إيماني وتأملاتي الروحية.

وقد أعودُ أحيانًا
،إلى النبيِّ المصطفى محمدٍ ﷺ
،إلى سيرته ونوره ومحبه

لأن في القلبِ مساحاتٍ
لا يملؤها إلا الإيمان
ولا يضيئها إلا الرجاء.

ولستُ أدّعي أنني كتبتُ القصيدةَ الكاملةَ
ولا أنني بلغتُ غايةَ الشعرِ؛
...فأنا ما زلتُ أبحثُ عنها

أبحثُ عن القصيدة
التي إذا انتهيتُ منها
شعرتُ أنها قالت عني
ما عجزتُ أنا عن قوله.

لهذا اخترتُ لهذا الكتاب
عنوان:

«قصائد تشبهني»

لأنني وجدتُ نفسي
في كثيرٍ من هذه القصائد؛
في فرحها،
وفي حزنها،
وفي جنونها،
وفي هدوئها،
وفي أحلامها التي لم تكتمل.

فإن وجدَ القارئُ نفسه

، في واحدةٍ منها
، أو وجدَ فيها ذكرى
، أو حلمًا قديمًا
، أو حزنًا نسيَ اسمه
فذلك يعني أن القصيدة
...لم تعد لي وحدي

- شَبَّحُ الشُّعْر 1

، ثُمَّ قَصِيدَةٌ مَفْقُودَةٌ
، تاهت عن فكري
، وغابت عن ذهني
، وتوارت في مخيلتي
، وضاعت من بالي
، ومن دفتر أشعاري
يبدو أنَّ شَبَّحَ الشعر
قد تأخَّر الليلة قليلًا
...في إيصالها إليّ
تري، أين علق؟
أترَاه يلاحق إحداهنَّ
، في الفلوات
، بين نساء بني جنسه
، الفاتنات
الحسناوات؟
أم لعلَّه
، يتعمَّد الغياب

ليتركني هذه الليلة
أبحث عن قصيدتي
في ظلال الصمت؟

2

- الموسيقى

الموسيقى

يقولون إن اللبنانيين
،بارعون في الموسيقى
لكنني، حين دُعيتُ ذات مرة
،إلى بعض الأمسيات الموسيقية الحافلة
خرجتُ منها
...وكأنني عدتُ من البحر
،داهمني دوارُ الموج
،واختلطت الأصوات في رأسي
:حتى كدت أسأل
،بالله عليكم
بماذا تُبدعون أنتم؟
،ثم أتوقف قليلاً
وأتذكر ما يُقال
عن تهريب الكتاغون
،إلى بعض الدول العربية الشقيقة
،ومنها المملكة العربية السعودية
:فأقول في نفسي
أهذه هي الموسيقى

التي نعزفها اليوم؟

،موسيقى أخرى

،لا تُسمع بالأذن

بل تُسمع أخبارها

في أرجاء العالم؟

3

- أصوات نحيب وعويل

أصواتُ نحيبٍ وعويلٍ

،تُسمع من تحت الركام

،من بين حجارة البيوت

ومن بين أنفاس

،من بقي حيًّا تحت الأنقاض

في مدنٍ وقرى

،امتدَّ إليها الخراب جنوبًا

كان نحيبهم

،يشقُّ صمت الليل

ويشعل قلوب

،أشجار التين والزيتون

،واللوز والرمان

،والليمون والحامض

حتى مياه ينابيع

بدت كأنها تجمّد عروقها

،في جوف الأرض

،حزنًا على الذين رحلوا

،أرواح طاهرة

نقيّة،
زكيّة،
تظلّ معلّقة في الذاكرة،
تسأل عن العدالة
وتطارّد صور الحرب
في وجدان من بقي.
ويبقى الركّام شاهداً
وتبقى الأشجار شاهدة
وتبقى الأرض شاهدة
على ما مرّ بها
من نارٍ ودمارٍ.

4

- سافري بقلبي وعيوني

سافري بقلبي وعيوني،
بوجداني وأنفاسي
...يا عزيزتي
سافري بي
على متن سحابةٍ بيضاء،
ناصعةٍ كالثلج،
أو على أجنحة طائرٍ أخضر،
يحملني إلى البعيد،
أو على صهوة جوادٍ أبيض،
عربيٍّ أصيل،
يشقّ الفياقي
ولا يلتفت.

سافري بي،
أنتى شئت
إلى جزر الكناري،
إلى البحر الأحمر
...أو البحر الأسود
ولا تكلف،
ولا عناء،
ولا مال يُنفق.
فأجمل الرحلات
تلك التي تبدأ
من القلب،
وتنتهي
في القلب.

5

- بيني وبينك

بينى وبينك
بستانٌ غناء،
ووردٌ لا يذبل،
أقمارٌ منيرة،
ونجومٌ متلألئة،
وأحلامٌ واعدة،
ومستقبلٌ
مُزهَرٌ جميل.
بينى وبينك
فرحٌ وسرور،
حبٌّ ومحبة،

أنس وعشرة طيبة
ومشاعرُ صادقة
لا تعرف الزيف
بيني وبينك
ثقةً متبادلة
لا تتزعزع
ولا تهتزّ
ولا تتبدّل
...ولا تتغيّر
ما حيننا
وكأنّ بين قلبي وقلبك
عهدًا صامتًا
لا يحتاج إلى الكلمات

6

- مؤسّف جدًّا

مؤسّف جدًّا
من الأمور التي أزعجتني مؤخرًا
ولم أكن أتوقعها إطلاقًا
ما نُسب إلى تكريم
الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون
للنجمة السابقة في مجال الأفلام الإباحية
Clara Morgane.
وقيل إن التكريم جاء
تقديرًا لما أنجزته
وقدّمته لبلدها فرنسا

فوقفتُ أمام الخبر

طويلاً،

:وسألت نفسي

ما تلك الإنجازات العظيمة

،يا ترى

التي تستحقُّ

كل هذا التكريم

والتبجيل؟

،إنني، من منظوري الشخصي

لا أستطيع أن أرى في مسيرتها

،ما يستحق هذا الاحتفاء

وأجد نفسي أمام سؤال

:أكبر من التكريم نفسه

أيُّ قيمٍ نريد أن نحتفي بها؟

وأيُّ صورةٍ نريد أن نتركها

للأجيال القادمة؟

،شيءٌ مؤسفٌ حقاً

،ومربكٌ للنفس

حين تختلط المعايير

وتضيع الحدود

بين ما نحتفي به

.وما نتحفّظ عليه

فإذا أصبحت الجوائز

وميداليات التكريم

،تُثير كل هذا الجدل

...فعلى الدنيا السلام

،خربابٌ بلا غراب

.وموتٌ بلا يومٍ
،ارحل بحزنك بعيداً
...وتمالك نفسك
فلمن تكتب الشعر اليوم؟
ومن يكثرث؟
ومن يهتم؟
،ربما لا أحد
ويبدو أن الزمان
،لم يعد زمانك
وأن القصيدة
باتت تبحث عن قارئها
كما تبحث أنت
عنها.

7

- دُمك حامٍ

دُمك حامٍ
،فإذا كان دُمك حامياً
ووجدانك حاضراً
،بقوة الصوان
وكان سلاحك
،جاهزاً للدفاع عن الحق
فها هي ساحاتُ
،العزة والكرامة
،والشهادة والشرف
تفتح أبوابها

على مصراعيها.
ومسجدُ الأقصى الشريف
الذي بارك الله سبحانه وتعالى
ما حوله
ينادي في وجدانك
ويذكرك بأن للأرض
ذاكرةٌ لا تموت.
فلا تجعل غضبك
رصاصَةً في صدر أخيك
ولا تجعل بندقيتك
وسيلةً لاقتتال أبناء جلدتك
ولا تُفرغ نارك
في محلتك وحارتك
وجّه غضبك
نحو الظلم
واطلب الحق
واحمل قضية أرضك
بما يليق بالإنسان
والشريف.
فليس البطولة
أن تقتل من يشبهك
بل أن تمنع الظلم
دون أن تتحوّل
إلى ظالم.

إلى ديزيره سقال
،سأكتبك قصيدة غزل
،مفعمةً بالمشاعر الدافئة
وأعزفك لحناً فريداً
قلّ مثيله.
واللونك لوحةً زيتيةً
،زاهية الألوان
بورتريهاً لوجهك
،الناعم الجميل
ولابتسامتك
الهادئة.
،سأنتقيك عطرًا فاخرًا
،كالمسك الأذفر
وأزرعك ياسميناً
،على شرفة غرفتي
،فتملئيني طيباً
،وفرحاً
،وسكينةً
،وطمأنينة
،وشدًى
،وأنساً.
والبسك خاتماً
،من فضة
،يتوسطه عقيقٌ أبيض
،ناصعٌ شفاف
كأنه قطعةٌ

من البلور.
وكلما حرّكتُ الخاتم
خيّل إليّ أنني
أسمع صوتك الجميل
من بعيد،
... يهمس باسمي
وأرى وجهك
الناعم الجميل
مبتسمًا لي.
شبكةٌ تواصلُ جديدةً
بيننا،
لم يتوصّل إليها
العلم والعلماء بعد
ولم يبلغها
حتى الخيال العلمي.
شبكةٌ لم يكتشفها
علماء الطاقة
،ولا الذرّة
،ولا الكيمياء
،ولا الكهرباء
،ولا الفيزياء
.ولا الاتصالات
شبكةٌ اجتماعيةٌ
،ساحرة
تصل بين قلوبنا
،صوتًا وصورة
عبر خاتمي الفضي

وحجره العقيقي
الأبيض الشفاف
كالبلور.

9

- حرية الاختيار

حرية الاختيار
سأترك للكلمة
:الفصل الأخير
، حرية الاختيار
أولاً وأخيراً
كأن تعبر بي
مثلاً،
، من مدن المنفى
، ومن وطن الريح
، ومن قمر الرحيل
، إلى شاطئ الأمن
، إلى ضفاف الأمان
أترك للكلمة
، أن تختار الطريق
وللقلب
، أن يختار وجهته
وللروح
، أن تمضي حيث تريد
فربما كان أجمل الأوطان
، ليس مكاناً على الخريطة

بل مكاناً

.نشعر فيه بالأمان

10

_ الله

الله

،رأيتُ اسمَ الجلالة

،الله

،منقوشاً على سحابةٍ خريفية

،ناصعةٍ البياض

.عظيمةٍ كالتلال

كانت السحابة

تحمل الاسم معها

،أنّي توجّهت

كأنها حرزٌ

،من نور

.لا يفارقها

،فتأملت المشهد طويلاً

وشعرتُ أن في السماء

،رسالةً لا تُقرأ بالحروف

.بل بالقلب

،فيصُّ من النفع

،وسيلٌ من البركات

ورحمةٌ تمتدّ

،في الجهات كلها

حتى يعجز العقل

.عن إحصائها

فقلت:

سبحان من له

الأسماء الحسنى

، والملكوت كله

...والفضل كله

وما تحصي نعمه

، إلا أنت

.يا الله

11

شجر الصنوبر

أمضى عمره

يغرس شجر الصنوبر

، في بستانه الرحب

...الغناء

فحاز زقزقة العصافير

، بأشكالها وألوانها

، وحفيف أوراق الأشجار

، ولسعات النحل

، وعقص الدبابير

، وصفرة المغيب

وصياح الديكة

عند بزوغ الفجر.

حاز كل هذا الجمال،

...ونسي نفسه

معلقًا

في سماء الأمنيات،

يطارد أحلامًا

بعيدة المنال.

12

سأكتبُ الأشعارَ التي كانت

...تشبهني

وأنا أجلسُ

على مقاعدِ الدراسة،

في المرحلتين المتوسطة

والثانوية.

أذكرُ حينها،

عند فرصةِ العاشرةِ والنصفِ،

حين كان الطلاب

يغادرون غرفةَ الصفِ

باتجاه الملعبِ،

...ويسودُ الهدوءُ المكانَ

،كنتُ أفتحُ دفترَ الكتابةِ،

وأحملُ قلّمي الأزرقَ،

،ذي الحبرِ الناشف
وأدوّنُ بعضَ أفكارِي
،بهدوءٍ تام
،وتأمّلٍ عميق
.وانسجامٍ كامل

أفكارًا كانت
تنشدُ للعصافير
،مدنًا من رخامٍ أبيض
وتلوّنُ كلماتٍ قصائدي
،بألوانِ قويسِ الرحمن
وتُقلقلُ شفاةَ الناي
كلما مرّت السهول
،بعرباتِ الفجر
وقصّتِ المدنَ
.حكاياتها الجميلة

13

أنا شاعرٌ
،نادرًا ما يؤمّنُ بالدبلوماسية
،سيّما مع قطاعِ الطرق
،وخفافيشِ الليل
،وسُرّاقِ المسافات
،والذئابِ الماكرة
والحيواناتِ المفترسة
،الضارية

التي تحاولُ
،استباحةَ مزرعتي المسيجة
والحاق الأذى
بمزرعاتي
،والتهامَ خرافي الوديعة

أنا شاعرٌ
نادرًا ما يؤمنُ بالدبلوماسية
مع هذا الصنف
من الوحوش الكاسرة

،فحينَ تضيقُ مساحةُ الكلام
،وتسقطُ لغةُ الحوار
لا يبقى أمامي
إلا أن أقفَ
،حارسًا على حدودي
وأردَّ المعتدي
،عن مرعاه
وأضعَ له حدًّا
لا يتجاوزه

،فأنا لا أطلبُ حربًا
،ولا أعشقُ الصدام
لكنني أعرفُ جيدًا
،أن للوداعةَ حدودًا
،وأن للصبرِ نهاية
وأن من يقتربُ

من سياج مزرعتي
عليه أن يعرفَ
أن خلفه شاعرًا
يحرصُ ما يحب.

14

وجه النبي محمد ﷺ

سبحانَ من صوّرَ
النبيَّ محمدًا ﷺ،
وأودعَ في وجهه
من الحسنِ والجمالِ
ما تعجزُ الكلماتُ
عن وصفه.
فإن كانَ النبيُّ يوسفُ
عليه السلام
قد أوتيَ شطرَ الحُسْنِ،
فإنَّ محمدًا ﷺ
قد اجتمعَ في وجهه
من الجمالِ
ما تفيضُ به
قلوبُ المحبين.
صلّى عليك اللهُ
يا خيرَ الورى
يا من أشرقَتْ
بطلعتهِ

قلوبُ العاشقين.

15

العسلُ المصفى

،حتى العسلُ المصفى

،بأنواعه المتعددة

،وأصنافه المتنوعة

،عسلُ السدر

،والأرز

،والسنديان

...والصنوبر

ذاب حلاوةً

أمامَ حسنِ

النبيِّ المصطفى

محمدٍ ﷺ.

فما قيمةُ العسلِ

حين يكونُ الجمالُ

قد تجسّدَ

في طلعتِه المباركة؟

16

- يوم الزحام

صدّقتُ النبيَّ محمدًا ﷺ

،في كلّ ما جاء به

مبَلِّغًا عَنْ رَبِّهِ
،سبحانه وتعالى
وآمنتُ بما أخبرَ
.عن عالم الغيب
،وكيف لا أصدِّقه
،وهو الصادقُ الأمين
الذي أرسلهُ اللهُ
،رحمةً للعالمين
والذي نرجو شفاعتَهُ
،يومَ الزحام
حين تضيقُ الأرضُ
بأهلها،
ويبحثُ الناسُ
.عن بابٍ إلى النجاة
اللهم ارزقنا
،محبَّتَهُ
،واتباعَ هديه
ورجاءَ شفاعتِهِ

17

- الحمد لله رب العالمين

الحمدُ لله ربِّ العالمين
على البلاءِ
كما الحمدُ له
.على النعماءِ

موقنٌ أنني
لستُ في جنّاتِ النعيمِ،
وأنني في دارِ امتحانٍ،
تتعاقبُ فيها
الأيامُ بين عسرٍ ويسرٍ.
وأستحضرُ قولَ النبيِّ ﷺ
إنَّ أشدَّ الناسِ بلاءً
الأنبياءُ،
ثم الأمثلُ فالأمثلُ
فأقارنُ ما نزلَ بي
من البلاءِ
بما حمّلهُ أنبياءُ الله
عليهم السلام
من أثقالٍ وصبرٍ
وتكليفٍ.
فأشعرُ، رغمَ ألمي
أن ما عندي
شيءٌ يسيرٍ،
وأنني في نعمٍ كثيرةٍ
لا أراها
إلا حين أتأملُ
ما حولي.
الحمدُ لله
في السراءِ والضراءِ،
والحمدُ لله
حتى يرضى
والحمدُ لله

بعد الرضا.

18

- وسامة النبي محمد ﷺ

أيُّ وسامةٍ

يمكنُ أن تفوقَ

وسامةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ؟

خلقهُ اللهُ سبحانه وتعالى

، في أحسنِ هيئةٍ

، وأكرمِ صورةٍ

فاجتمعَ في طلعهِ

بهاءُ الخلقِ

، وجمالُ الخلقِ

فكانَ وجهُهُ

، مشرقاً كالفجرِ

وكانتْ طلعتُهُ

، آيةً من آياتِ الجمالِ

صلّى عليك اللهُ

، يا نبيَّ الرحمةِ

، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ

19

- ناسك متعبّد

قل للمليحةِ

:في الخمارِ الأسود

ماذا فعلَ بها

ناسكٌ متعبّد؟

مرّت أمامَ عينيه

،على بابِ المسجد

فلم يعرّها

،اهتمامًا

ولم يرمقها

.بنظرةٍ واحدة

كأنها شمعةٌ

،خلفَ زجاجِ معتم

أو تمثالٍ

،في متحفٍ قديم

أو لوحةً جدارية

معلّقة

.في قلعةٍ مهجورة

دخلَ الناسكُ

،المتعبّدُ المسجد

،وأذّنَ للصلاة

،وأتمَّ المصلّين جماعة

...ثم انصرف

وبقيَ السؤالُ

:معلّقًا في الطريق

أكانَ الناسكُ

أشدَّ زهدًا

من أن تسرقَ عينيه

نظرةً عابرة؟

ـ أحلامك المخملية

برّك، عزيزي،
 أخبرني
 عن أحلامك المخملية
 عن أمنياتك الكبيرة
 التي تنوي تحقيقها
 عبر محطات حياتك
 القصيرة.
 وأنت، منذ ولادتك
 يُنادى بك
 :من فوق رأسك
 ،يا ابن آدم
 ،للدود خلقت
 ،وللتراب مصيرك
 فخذ من حياتك
 عبرة،
 ومن أيامك
 عظة.
 فلا تجعل أحلامك
 أكبر من غايتك
 ولا تجعل الدنيا
 ملاذك الأول
 وملجأك الأخير.

اجعلِ اللهَ سبحانه وتعالى

،ملاذَّ قلبِكَ

واجعلْ دينَ الإسلام

،نورَ طريقِكَ

وأنبياءَهُ الكرام

،قدوةً لكَّ

واجعلْ شريعَتَهُ

سبيلَكَ

في هذه الرحلة

.القصيرة

21

بالونات حارقة

أرادَ أن يعيشَ الحياةَ

...كما هي

،بهدوئِها

،بتقلُّباتِها

بفرحِها

،وحزنِها

،إلا أن بالوناتٍ حارقة

،ملتهبة

كانت تلاحقُهُ

،باستمرار

كظلٍّ مكسور

.لا يفارقُ صاحِبَه

كانت شراراتُها

تصيّهُ

،حيثما حلّ

،وحيثما اتجه

.وحيثما وجد

فما إن يخمدَ

،لهيبٌ واحدةٍ منها

،حتى تأتي أخرى

،أشدُّ اشتعالاً

لتفتَحَ في قلبه

.جرّاً جديداً

...وكان يمضي

،يطاردُ حياةً هادئةً

بينما النيرانُ

.تطارده

- إلى الحكام العرب 22

...إلى الحكام العرب

!اعذروني، ولكن

حتى الوحوشُ

،جاعتُ في أوطانكم العربية

وليس البشرُ وحدهم

من ذاقوا مرارةَ الجوع؛

فالوحوشُ كذلك

أصابها ما أصابكم

.من قسوةِ الأيام

،لذلك

سأستبدلُ ألقابكم
المهترئة،
وأعيدُ تسميةَ الأشياء
بما أراها عليه
في مرآة القصيدة
، لا حكامَ دول
، بل حكامَ الصدفة
، والغفلة
، والدهشة
والهاربون
من ذاكرة التاريخ
تلك الذاكرةُ
، التي تنكسرُ على نفسها
وتحملُ في قوارير الزمن
، رائحة الخزي
، والعار
، والأسى
، والخذلان
، أما أنا
فكما يحقُّ لكم
، أن تختاروا ألقابكم
: سأختارُ لقبِي أيضًا
لن أقولَ
، شاعرَ الحبِّ والحياة
بل سأتركُ لنفسي
: اسمًا آخر
، شاعرُ الوهم

والحلم،
والخيال.

- شمس مشرقة 23

:إذا رأيته قلت
، هذه شمس مشرقة
...أو قمر منير

، محمد رسول الله ﷺ
، صفوة خلق الله
ونور من نور الهداية
يضيء دروب المحبين

فإذا أطلت طلعت
خطف الأبصار
من حوله
وخجل السنونو
من سرعة جناحيه
وخفت ضوء النهار
أمام إشراقه حيّاه

وتوارى الماس
، واللالئ والجواهر
وتعرت التيجان
من بريقها
، حين أشرق جماله العربي الأخاذ

وطلّحتُ محيَّاهُ

بذلك البهَاءِ

الذي يسكنُ القلوب

- من الأمور التي أدهشتني 24

من الأمور التي أدهشتني

أن الإنسانَ قد يرى

من سعة الدنيا

، ما يعجزُ العقلُ عن تصوُّره

، من مالٍ

، وصحةٍ

، وقوَّةٍ

، وقصورٍ

، وبساتينَ غنَّاء

، وأنهارٍ عذبةٍ

، ومتاعٍ كثيرٍ.

قد تبدو له الدنيا

، كأنها مُلكٌ لا ينتهي

وكان أبوابها

قد فُتحت له جميعًا.

لكنَّ الدنيا

، ليست دارَ الخلود

وما فيها

يمضي كما يمضي الليلُ والنهار

وقد يملك الإنسانُ
الكثيرَ في الدنيا،
ثم يلقى ربَّهُ
مجردًا من كلِّ ما جمع
لا يحملُ معه
قصرًا ولا بستانًا
ولا مالًا ولا سلطانًا.

وحينها
تتغيَّرُ موازينُ الأشياءِ
فلا ينفعُ المرءُ
إلا ما قدَّم

لذلك، يا عزيزي،
لا تجعلُ الدنيا
غايةَ قلبك،
ولا تجعلُ المالَ
ميزانَ الكرامة.

فالتوحيد،
والإيمان،
وأداء ما أوجبَ الله
، وترك ما حرَّم
، والبعدُ عن الكفرِ والمعاصي
هي زادُ الإنسان
في رحلتهِ إلى الآخرة.

:وقد قال تعالى:

﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾

فما أعظم الفرق
،بين سلطانٍ يزول
،وإيمانٍ يبقى
وبين متاعٍ يفنى
وعملٍ صالح
يلقى به الإنسانُ ربّه.

اللهم اجعلْ الدنيا
في أيدينا
ولا تجعلها
في قلوبنا.

- الشفق الأحمر 25

نجمةٌ لمعتْ
...في سماءِ أمنيّاتكِ المديدة

أترى أحلامكِ
التي لم يتحقّق
منها شيءٌ حتى الآن؟

أم أنكِ ما زلتِ

،تنتظرُ المعجزة
وتراقبُ من بعيد
ذلك الخيط الرفيع
المتبقي
من الشفقِ الأحمر؟

خيّطًا يتشبهُ بالسما
قبل أن يبتلعَ الليلُ
آخرَ خيوطِ النهار.

- لبنان 26

...لبنان

،آسرٌ
،ملفتٌ
،مشرقٌ
،لامعٌ
،بارزٌ
،شامخٌ
،خلابٌ
،أخادٌ
،ذهبيٌّ
،متألقٌ
،ساحرٌ
،ساطعٌ
،مشرقٌ

،مضيءٌ،

،ملهَمٌ

...وأنيق

.وجميلٌ جدًّا

،فيه بيروت

،العريقة

.لؤلؤةُ البحرِ الأبيض المتوسط

،وصيدا

.منارةُ الساحل

،وصور

.مدينةُ الحرفِ والتاريخ

،والشوف

الأميرُ المترجّعُ

.على عرشِ الجبل

،وجبيل

المدينةُ الأثريةُ

.الضاربةُ في عمقِ التاريخ

،والبترون

.بشواطئها الذهبية

،وفاريا
حيثُ الثلجُ
ومواسمُ التزلج.

،وطرابلسُ الفيحاء
بأسواقها القديمة
وسحرها البحري.

،والأرز
شامخًا في أعالي الجبال.

،والبقاع
بسهُولِه الواسعة.

،وزحلة
عروشُ المدائن.

،وبعلبك
،مدينةُ الشمس
وحارسَةُ أعمدةِ التاريخ.

كلُّ هذه المدن
،وغيرُها كثير
تسكنُ في قلبِ هذا الوطن.

لذلك،
ولأكثرَ من ذلك،

...يعني لي لبنانُ الكثير

يعني لي

ذاكرةً،

وحلمًا،

وجبلًا،

وبحرًا،

وقصيدةً

.لا تنتهي

- أمسية شعرية 27

،أنتِ أمسيةٌ شعرية

،وقصيدةٌ عاطفية

ربما ماتَ شاعرُها

.قبلَ أن يَكتَمَلَ المساء

،أنتِ امرأةٌ ساكنة

،متلوّنة

،مأهولةٌ بالريح

،محفوظةٌ بالتطرّف

غريبةٌ

.إلى حدِّ التعقيد

أنتِ قاموسٌ

،عربيٌّ أجنبي

كالقواميس

،التي تعلقو سريري
أفتحُ صفحاتك
فلا أعرفُ
في أيّ لغةٍ
أقرأك.

،أنتِ جهاتٌ مبعثرة
،وبحارٌ لا مبالية
،وموجٌ ي صارعٌ موجًا
وسفينَةٌ
ركبتِ الخطر
دون أن تسألَ
إلى أينَ تمضي.

- بحثُ عنكِ 28

بحثُ عنكِ
...حيثما استطعت

،سحتُ في الدنيا
،من شرقها إلى غربها
،ومن غربها إلى شرقها.

دخلتُ المدنَ
،واحدًا تلو الآخر
،وسألتُ الريحَ
،والبحرَ

...والطرق الطويلة

لكنني

لم أجِدك.

فإلى أين رحلتِ؟

وإلى أين ذهبتِ؟

تركتِ وراءك

حبًّا لا يخبو

وأحلامًا منثورةً

في الهواء

كزبدٍ يتطايرُ

مع الريح

ثم يصفغُ الوجوه

ويمضي.

- أحبك 29

أحبك

لأنك القمرُ

المعلّق فوق البطاح.

أحبك

لأنك اللقاءُ

والتذكّار.

أحبكِ
لأنكِ العطرُ
والنهرُ المنساب.

...أحبكِ

أحبكِ يا جميلة،
يا متصلِّبةً
كجبالٍ من جليد.

أحبكِ
حتى حينَ
تغلقين أبوابكِ
دونَ قلبي.

...أحبكِ
ولا أعرفُ
كيفَ أطفئُ
هذا الحب.

- بحرٌ من نار... جمرٌ وماء 30

،قالتُ عيناكِ كلامًا
وقالتُ عيناكِ ملامًا.

كانتُ نظراتُكِ

تمضي كالسيوف،
وكانت كلماتك
تنطق بالحروف.

فيها حزنٌ،
وآلمٌ،
وعذاب،
وفيها تحسّرٌ،
وندمٌ،
وعتاب.

قالت عيناكِ
كلامًا عن الحب
فانقطع قلبي
من شدة الألم.

عيناكِ
بحرٌ من نار،
عيناكِ
جمرٌ وماء.

أغرقُ فيهما
ولا أعرفُ
أيَّ شاطئٍ
سينقذني.

- لا ترحلي 31

...أرجوكِ

.لا ترحلي

، لا تتركيني وحيداً

فرحيلكِ

، يجددُ أحزاني

ويضرُّ النارَ

في سهولي

.وضفافي

...أرجوكِ

، لا ترحلي

، كي لا يحزنَ القمر

ولا تنامَ النجوم

.قبلَ موعدِها

...ابقي قليلاً

فهذا المساءُ

لا يعرفُ كيفَ يبتسم

.من دونكِ

- ليل ليلي 32

...ليل ليلي

، ليلُ نجومٍ وقمر

، ليلُ قصائدٍ وسمر

...ليلُ ألحانٍ وأنغام

.ليلُ ليلي

...ليلُ ليلي

،ليلُ طعامٍ وشراب

،ليلُ أنيسٍ وهناء

...ليلُ فرحٍ وحب

.ليلُ ليلي

...ليلُ ليلي

،ليلُ أحلامٍ تتحقق

،ليلُ أنوارٍ تتلأأ

ليلُ مراكبٍ

...في وسطِ البحار

.ليلُ ليلي

،وفي آخرِ الليل

يبقى اسمُ ليلي

وحدهُ

معلقًا

.في سماءِ القصيدة

- المرسال 33

من أعالي تلك الجبال
سأرسلُ لكِ
ذلك المرسال
ليحملَ إليكِ
مشاعري
وما أخفيه في قلبي.

واسمحي لي، سيدتي،
أن أقولَ لكِ
بكلِّ صدقٍ واحترامٍ:

إنكِ جميلةٌ جدًا

وجهُكِ
نورُ الصباح
وبسمتُكِ
عالمٌ من حنان.

قلْبُكِ
أنقى من الثلج
ورائحتُكِ
أزكى من الياسمين.

وشعْرُكِ
قصيدةٌ طويلة
أدهشتُ كبارَ رُسامي العالم.

وَأَنَا قَتْلِي

شغلت أعين المارة

.في شوارع أوروبا

،أما نظراتك

فنقلتني من بيروت

،إلى أمستردام

،إلى مدي الفن والجمال

،إلى القصور والجواهر

،إلى روائع النحت الإيطالي

.وإلى عظمة برج بيزا

ثم حملتني

،إلى أعالي القمم

،وأعماق المحيطات

حتى حسبت نفسي

أميرًا من أمراء

،القرن الثامن عشر

أملك الجاه والكيان

.والسلطة

لكن الأحلام

...لا تعيش طويلاً

،تلاشت

،ذاب الجليد

وتوارى الحلم

عن الذاكرة.

أما مراكبي الشراعية
،التي حملتُ اسمك
،فلم تعدْ حتى الآن.

فهل تحطمتُ
في عرضِ البحر؟

أم أعيأها الانتظار
على شاطئٍ
لا يعرفُ الوصول؟

_ لأجلك 34

،لأجلكِ،
يا صاحبةَ الاسمِ المنير
،والوجهِ الناعمِ الجميل
...والشعرِ الأسودِ الطويل

لأجلكِ
،تسهُرُ عيناكِ في ليلي
وترقُصُ رموشُكِ
كـرموشِ غزالة.

نظرتُ في وجهكِ
فقرأتُ

الجمال،
والإحسان،
والأنوثة،
والدلال.

لأجلِكِ كتبتُ،
ولأجلِكِ رسمتُ
ولأجلِكِ
كم نظمتُ
من الألحان.

يا صاحبةَ الأطرافِ الحسانِ،
يا امرأةً
كلما كتبتُ عنها
خانتني الكلمات.

- كفى 35

...بيروتُ تعبَت

كفى
من لملمةِ المطرِ الساخنِ
فوقَ الخدينِ.

تعبتِ،
وكفى دمعك
يا صامدة.

...لا يكفي

، لا، لن يكفي

ولو ملأ حياض الغبراء

كلّها.

أقولُ لكِ:

، لا تبكي

، لأنكِ منّا

، ولأنكِ فينا.

فلترافقني عيناكِ

، المدامة

، وأتذرّعُ بالشعر

أصفُ حروقَه

، على جبينِ الحائط.

أغرُسُ علمًا

، فوقَ الشائكِ

...ثم أضحك

، يصفعني السجّان

، فأضحك.

، تأسرني الأعداء

، فأضحك.

،تسرَّقُ مِنَّا الأوطان،
فأضحك.

...أضحك

...أضحك

...أضحك

،إليكِ يا بيروت،
فقد تعبتي،
وأتعبني دمُكِ.

كفى.

- كل شيء بدأ 36

...كلُّ شيءٍ بدأ

وكلُّ شيءٍ

لم يبدأ

تموتُ وعولُ النفس
،في حضرة الصراخ،
وتضيُّعُ الخطوات
بينَ البدايةِ والنهايةِ.

،وهكذا

أحلمُ أنني

قائدُ أوركسترا

في جزرٍ

.تشتعلُ فيها النيران

أرفعُ يدي

،فتصمُ الآلات

وأخفُضُها

فتنفجرُ الموسيقى

.من بينِ الركام

لكنني أبحثُ

:عن شيءٍ واحد

أينَ الهواء؟

أينَ الهواء؟

...رباه

أينَ الهواء؟

- صحراء المتعبّد 37

،هذه ليلةٌ ساكنة

،فيها زوارقُ راسية

وأوراقُ يابسة

.تتدلى من الشرفات

هذه ليلة محاصرة

النار والبارود

هما العلامة

وفي ليلة

أباحث كل أسرار ساحاتها

لم أنتظر شيئاً منهم

لم أنتظر أي شيء

عدا ضجيج الأبواب

وهي تنفتح

وتغلق

على هذا الفراغ المهجور

هكذا مدينة

تخنق أنفاسها

تحت ضربة معول

وهكذا غرفة

تتسع للوحشة

أكثر مما تتسع للإنسان

الغرفة صحراء المتعبّد

والليل

محراب بلا صلاة

- القطار المستحيل 38

أعرف أنني معك

،راهنْتُ على حياتي
وركبْتُ
القطارَ المستحيلَ.

أعرفُ أنني معك
،سأبقى على الميناء
جسدًا هائمًا
،بلا روح
،وبلا هوية.

،حقيبةُ سفر
،وأمتعةُ مبعثرة
،ولا وجهةَ محددة.

ألوّكُ العطش
،في هوائِ
كلما طفقَ خيالُك
يظهرُ لي
،من بعيد.

وألوّحُ للبحرِ
،بالهزائم
وللسفينِ
،بالخسارات
وللجهاتِ
،بالنكبات.

:وأظللُ أسأل

أينك؟

أينك؟

...قبلَ فواتِ الأوان

الخاتمة

...وهكذا تنتهي الرحلة

رحلةٌ بدأتَ بقلمِ أزرق

،وحبرٍ ناشفٍ،

،على مقعدٍ من مقاعد الدراسة،

حين كان زملائي يركضون

،نحو الملعب،

وكنْتُ أنا أركضُ

،نحو القصيدة.

منذ ذلك اليوم

...وأنا أحاولُ أن أكتبني

،كتبْتُ عن الحب،

،عن المرأة،

،عن بيروت،

عن لبنان،
عن الجبل والبحر
عن الأحلام التي تأخرت
وعن الأمنيات التي
ما زالت معلقةً
في سماء الانتظار.

كتبْتُ عن الألم
حين ضاقَ بي
وعن الفرح
حين مرَّ بي عابراً
وعن الإيمان
حين احتجْتُ إلى نورٍ
يقودُ خطاي.

كتبْتُ ما رآته عيني
وما سمعته أذناي
وما همسَ به قلبي
وما عجزْتُ عن قوله
في الحياة.

قد لا تكونُ هذه القصائد
كلَّ ما كنتُ أحلمُ بكتابته
لكنها بالتأكيد
قطعٌ من روعي
وشظايا من ذاكرتي
وأحلامٍ تركتها

على الورق
حتى لا تضيع.

فالقصيدُ عندي
لم تكن كلماتٍ مرصوفة
،ولا حروفاً تبحثُ عن القافية
بل كانت نافذةً
أطلُّ منها على نفسي
ومرأةً
أرى فيها وجهي
حين تعجزُ المرايا عن رؤيتي.

:وإذا سألني أحدٌ يوماً

من أنت؟

:سأقول:

أنا ذلك الطفل
الذي كان يفتحُ دفترَه
،في العاشرة والنصف
،حين يخلو الصفُّ من الضجيج
ويبدأ العالمُ
...من حوله بالصمت

،ثم يمسكُ قلمه
ويكتب.

هذه القصائد

...تشبهني

لأنني تركتُ فيها

شيئاً مني.

وإن بقيتُ بعدي

قصيدةً واحدة

يقرأها إنسانٌ ما

، في مكانٍ ما

ويشعرُ أنها قالت

شيئاً كان يعجزُ هو أيضاً

...عن قوله

فسأعرفُ عندها

أنني لم أكتبُ عبثاً.

محمود سليمان الظاظا